

شانغري-لا: عودة ثالثة

الجنة الخفية

< لي جيانغ - دومينيك ميرل

هل هذا حقاً هو عالم شانغري-لا الأسطوري؟ يمكن أن تواجه صعوبة في إقناع مزارع مسن وهو يحصد حقله مدة 12 ساعة في اليوم، ولكن المسؤولين في المدينة جريؤون بما يكفي لإعادة تسمية الطريق الرئيسي شانغري-لا. ومجموعة فنادق شانغري-لا مزدهرة في المنطقة، وهي لا تفعل ذلك إلا إذا علمت بأن هناك مسافرون في الأفق. جئت إلى هنا لمعرفة ماذا وراء الأمر، وغادرت مزودا بالاستنتاج أنه عالم حقيقي وليس خيالا كما سيأتي الحديث.

وهي شانغهاي وبكين وتشيان، والأخيرة تضم تماثيل الجيش الطينية الرائعة. لي جيانغ تريد أن تكون الرقم الرابع على القائمة. ثم تحاول الصعود إنطلاقاً من هناك. يعرف قاموس وبستر شانغري-لا بأنه "أي

ولاوس وتايلند. ورحلة يوم شمالاً توصلك إلى التبت. قلة من الأمريكيين الشماليين توجه إلى هنا حالياً، وتختار بدلاً منها ثلاثة مواقع كبيرة بهيجة في عالم السياحة الصينية المزدهرة.

ولاً، قليلاً من الجغرافيا. لي جيانغ بعيدة عن طريق السياح المعتاد، وتقع في مقاطعة يوننان في جنوب غرب الصين. ورحلة يوم بالسيارة جنوباً توصلك إلى المثلث الذهبي المكوّن من بورما



جبل التنين الأخضر
Jade Dragon Snow Mountain

الزهور، والأشجار مزهرة طوال السنة. وبالرغم من وجود الثلوج على قمم جبل التنين القريب على مدار السنة، فلا يزال بإمكانكم التجوال في المدينة القديمة بالقمصان في أواخر الخريف وأوائل الشتاء.

الشوارع الضيقة مرصوفة بالحجارة، والجسور منتشرة في كل مكان وتتقاطع في المدينة الطرق النهرية والشوارع الجانبية. والألواح الخشبية تربط الشوارع بالمتاجر والمطاعم، حيث لا يسمح للسيارات بالمرور، ما عدا الدراجات والعربات. الطعام جيد، والجو ساحر والخدمة حارة وودية.

ولا حاجة للخوف، فإذا كان هذا يبدو مشابها كثيرا لعالم شانغري- لا أو الكاميلوت، فسوف يعود بكم الباعة المتجولون بسرعة إلى عالم الواقع. وهم يعرضون ساعات الروليكس، وأكياس الغاوجي وما شابه ذلك. واشترت ساعة مزيفة وأعطيت عملة صينية مزيفة فيما أعيد لي من بقايا الحساب. هيلتون لم يصف أبدا أي شيء

ولكن إذا كان هيلتون لم تقع عينه على المكان، فكيف يمكن لهذا الموقع أن يكون شانغري- لا؟ وهنا يأتي دور عالم النبات والكاتب الأمريكي جوزيف روك، وهنا يتعقد الأمر حتى ليصل حد الانتحال.

لقد جعل روك مقر إقامته في هذا المكان بصفته قائدا لبعثة الجمعية الجغرافية الوطنية إلى مقاطعة يوننان. ونشر سلسلة من المقالات مع عشرات من الصور بين 1924 و1935، وكثير منها يصف التاريخ، والثقافة، والمناظر الطبيعية والأديان في منطقة لي جيانغ. أما كتاب هيلتون فقد نشر في 1933. وعليك أن تحسب ذلك بسرعة، وتصدر الحكم.

المدينة القديمة في لي جيانغ يعود تاريخها إلى 1300 سنة سابقة حيث كانت تحكم سلالتا سونغ ويوان. وهي تمتاز بشبكة من القنوات المترابطة وكثيرا ما توصف بأنها البندقية المصغرة. المنازل ذات جدران ترابية وسقوف من القرميد، والفناعات تملؤها

عالم خيالي شاعري طوباوي أو جنة خفية". وترجمة ذلك: أنها غير موجودة حقا. وحتى الكاتب البريطاني جيمس هيلتون، صاحب رواية "الأفق الضائع" وهو أول من وصف مكانا يسمى شانغري- لا، قال إنكم لن تجدوه على أية خريطة. ولكنه نبه إلى أنه يقع بالقرب من "أروع الجبال على الأرض" حيث يعيش كثير من الناس من خلفيات عرقية متنوعة في ونام تام.

إنه لم يكن يعلم هذا في ذلك الوقت (أو ربما كان يعلم؟)، ولا توجد وثائق تدل على أنه قد زار المنطقة في أي وقت مضى. ولكنه رسم صورة مشابهة بشكل كبير للي جيانغ. وهذه المدينة القديمة تقع في ظل جبل التنين (إرتفاعه 18300 قدم) في الطبقة السفلى من جبال الهملايا، وهو حقا من أجمل الجبال التي سترونها في أي مكان. فقممه التي عددها 13 قمة مغطاة بالثلوج طوال السنة وهي تشبه أسنان التنين.

لي جيانغ هي أيضا موطن العديد من الأقليات العرقية، مثل ناكسي، بي، بومي، ليسو، والتبت وباي. ولهم ديانات كثيرة، مثل البوذية، والطاوية، والإسلام، والكاثوليكية، والدونغباسم والهانغيسم، ويبدو أن جميعهم يعيشون في "ونام تام"، كما وصفهم الكتاب المذكور.



Stone Forest



غابة حجرية

Elephant rock

صخرة على شكل فيل



Lanterns

سكانها 800,000 نسمة وهم يمثلون 26 مجموعة عرقية. الصينيون لهم ولع بالأسماء المثيرة وهناك جبل على مشارف كونمينغ يسمى جبل الجمال النائم. ولكن هذا أكثر من إسم مثير؛ ف قمة الجبل تشبه فعلا حسانة نائمة. كما لو كانت قد حفرت لينطبق عليها الوصف المذكور.

تصل إلى لي جيانغ من كونمينغ في مدة 40 دقيقة عن طريق الجو. وبالإضافة إلى سحر مدينتها القديمة وركوب سيارة القابلوات إلى قمة جبل التنين. فإن لي جيانغ يمكن أيضا أن تكون قاعدة لمشاهدة وادي النمر القافز. ◀

الصعب. وبشكل متزايد. اجتذاب أعضاء جدد. ومن المحزن تصوّر أن هذا الفريق الذي يثير البهجة سوف لن يبقى في يوم ما جزءا من المدينة القديمة في لي جيانغ.

للوصول إلى لي جيانغ. يجب على المرء أن يستقل الطائرة إما من بكين أو من واحدة من المدن الكبرى الأخرى في الصين إلى كونمينغ. عاصمة مقاطعة يوننان التي تقع على ارتفاع ميل. وكونمينغ معروفة باسم "مدينة الربيع الأبدي". حيث أن لها مناخا معتدلا. وسماء صافية وأزهارا مزهرة طوال العام. تاريخيا. كانت كونمينغ بوابة إلى طريق الحرير. واليوم هي مدينة نظيفة. تعداد



Lanterns

فوانيس

مثل هذا في "الأفق الضائع". قضيت أمسية لا تنسى في البلدة القديمة فحضرت حفلة موسيقى قديمة أدهتها فرقة من الناكسي. وكانوا يرتدون ثيابا ملونة واضعين ما يشبه لحية كونفوشيوس. وعددهم ينيف على 30 موسيقيا. ويبلغ متوسط أعمارهم ما يقارب 70 سنة. وعرفوا نوعا موسيقيا يدعى دونغ جنغ كان مفضلا لدى النخبة خلال القرن السادس عشر.

الألات كانت غريبة ومثيرة. فقسم منها مصنوع من الحيوانات والزواحف. وبينما كانت الموسيقى القديمة غريبة على أذني غير المدربة. فقد كان مرأى هؤلاء الكبار المستمرين في الحفاظ على الموروث رافعا لمعنوياتي ومسليا. عضو في الفريق. وهو رجل في السبعينات. استهل كل مقطوعة بانشودة غريبة. وفي كل مرة كان يفتح فيها فمه كنت أعد ما لا يزيد على ثلاثة من الأسنان قد تبقت.

أنشئ الفريق في عام 1987 للحفاظ على موسيقى دونغ جنغ. وقد زار جميع أنحاء أوروبا. ولكن قد يكون هدفه قضية خاسرة. فلم يكن هناك سوى أربعة أعضاء من الفريق ممن هم تحت سن 50 سنة. وأصبح من



Native costumes

أزياء شعبية



Refreshment ladies

سيدات يقدمن الحلوى والمرطبات



Strange instruments

آلات غريبة

وهو أول وادي لنهر اليانغسي. الوادي ينخفض بحوالي عدة آلاف من الأمتار ومياه نهر جنغ تشيانغ تندفع هادرة نحو الأمام. وتقول الأسطورة أن نمرا إعتد على صخرة كبيرة في وسط النهر المضطرب. وقفز من جانب الوادي إلى الجانب الآخر.

واحدة من مواقع الجذب الرئيسية الأخرى في مقاطعة يوننان هي الغابات الحجرية إلى الشرق من كونمينغ، وهي عبارة عن 200 فدان من قمم من الحجر الجيري يتراوح إرتفاعها من نحو 10 إلى 100 قدم، وهي مصفوفة جنباً إلى جنب بشكل وثيق. وبعض أشكالها تشبه الفيل الصغير، وطيرين متعانقين. وكل ما يريد عقلك أن يتصوره.

وبإمكانكم المشي خلال قمم الأعالي على طول طرق متعرجة وجسور فوق برك وبحيرات. تشكلت الغابات الحجرية عن طريق رواسب البحر حوالي 200 مليون سنة مضت، وأدى تأكلها إلى توليد الغابات التي نشاهد اليوم. وهي من العجائب الجيولوجية التي تتناسب بسهولة مع هذه المقاطعة الغامضة.

ولكن في حين أن وادي النمر القافز والغابات الحجرية هي مواقع جذب جيدة، فإن المسؤولين في لي جيانغ يراهنون على قدرتها لإغراء سياح القرن الحادي والعشرين.

وهاك الجواب الآن. هل هذا هو المكان؟ هل هذا هو ما كان يتحدث عنه هيلتون في روايته، بغض النظر عن المصدر الذي نقل عنه الوصف؟ يجوز أن يكون ذلك. وقد يبدو ذلك وكأنه تجنب للأمر. ولكن هناك مواقع قليلة أخرى في العالم تحب أن تنفرد بإطلاق إسم شانغري- لا على نفسها. كل من باكستان والتبت قد رشحت نفسها، وهناك مطالبة أخرى هنا في مقاطعة يوننان، من مدينة دغغ الصغيرة وهي على مدى ساعات قليلة إلى الشمال من هنا.

ولندع الكلمة الأخيرة لوبستر. لقد سمى شانغري- لا "كل جنة خفية". وهذا لا يعني أن بإمكانك أن تجدها على الخريطة. وهذا يبدو لي أشبه ما يكون بأن مكانها في القلب. ■

(دومينيك ميرل كاتب وخبير استشاري مقره في مونتريال)